

الموت والمصير في الفلسفة الأفريقيّة

دعاء عبد النبي حامد

باحثة في الفلسفة الأفريقية الحديثة والمعاصرة- كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر.

ملخص إجمالي:

إنَّ إشكاليّة الموت والمصير من الإشكاليّات الغامضة والمحيرة للعقل البشري، فمنذ خُلِق الإنسان وأدرك أنه كائن ميت حاول جاهداً البحث والتفسير لحقيقة الموت. تعددت الرؤى والتفسيرات حول طبيعة الموت وأسبابه، وعلى الرغم من كثرة الاجتهادات المبذولة للوصول لحل نهائي لمسألة الموت فإنَّ العقل البشري ظلَّ عاجزاً عن تقديم إجابة نهائية ومرضية حول الموت والمصير. لذلك يظلُّ الموت اللغز المحير للعقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولأهميّة الموضوع تطرح الدراسة رؤية جديدة مميزة عن إشكاليّة الموت والمصير، قد تكون مجهولة تماماً في ثقافتنا العربيّة. وهي الرؤية التي قدّمتها إفريقيا جنوب الصحراء من خلال الدين التقليدي والفلسفة الإفريقيّة مقارنة مع رؤى فلسفيّة ثقافيّة أخرى. لذلك تدور الدراسة حول مفهوم الموت والمصير من منظور إفريقي في ثقافات إفريقيّة متعددة والتي أجمعت على أن الموت مصير حتمي للإنسان، وأنه مرحلة انتقاليّة من حياة لحياة أخرى، تتمحور إشكاليّة الموت في الفلسفة الإفريقيّة حول فهم الموت ليس كنهاية نهائية للوجود، بل كجزء من دورة حياة متواصلة تتضمن الانتقال من الحياة المادية إلى الحياة الروحيّة. في هذا السياق، يُنظر إلى الموت على أنه بداية لحياة جديدة في عالم الأسلاف؛ حيث تستمر الأرواح في لعب دور فعّال في حياة الأحياء. هذه الفلسفة تتحدى التصورات الغربيّة التقليديّة للموت، مؤكدة العلاقة الوثيقة بين الأجيال والأهميّة الروحيّة للموت في الحفاظ على التماسك الاجتماعي والثقافي.

* * *

مفردات مفتاحيّة: الفلسفة الإفريقيّة - الدين الإفريقي - الحياة - الموت - المصير -
التناسخ - الخلود الشخصي - الخلود الجماعي.

تمهيد

لطالما كان الموت بوصفه ظاهرة إنسانية حتمية موضوعاً محورياً في الفلسفات الإنسانية على مرّ العصور. في الفلسفة الإفريقيّة، يحتل الموت مكانة فريدة ترتبط بشكل وثيق بالتصورات الثقافيّة والروحيّة التي تعكس الفهم الشامل للعالم والوجود. هذه الفلسفة المتجذرة في التنوع الثقافي العميق للقارة الإفريقيّة، لا ترى الموت كنهاية للوجود، بل كحلقة في سلسلة لا متناهية من الانتقالات التي تتجاوز حدود الحياة الفيزيائيّة. تُعدّ الفلسفة الإفريقيّة ثرية بتعدد الرؤى حول الموت؛ حيث يُنظر إليه على أنه انتقال من الحياة الماديّة إلى الحياة الروحيّة، ويُعتبر الفرد المتوفى كياناً مستمرّاً، ينتقل إلى عالم الأجداد، الذين يلعبون دوراً حيويّاً في حياة الأحياء. هذا الفهم يعكس رؤية شاملة للكون؛ حيث تتداخل الأبعاد الماديّة والروحيّة، وتؤكد التفاعل المستمر بين الأحياء وأرواح الأسلاف.

في الفلسفة الإفريقيّة لا يُنظر إلى الموت كفناء مطلق، بل كجزء من دورة الحياة المستمرة؛ حيث يتم تصوير الحياة والموت كجزأين لا يتجزآن من الوجود، وتُعتبر الروح كياناً دائماً التنقل بين عوالم مختلفة. يعكس هذا الفهم الاعتقاد بأن الموت ليس نهاية، بل هو بداية لوجود جديد. علاوة على ذلك، تبرز الفلسفة الإفريقيّة أهميّة الطقوس والتقاليد المتعلقة بالموت؛ حيث تؤدي هذه الطقوس دوراً حاسماً في ضمان الانتقال السلمي للروح من العالم المادي إلى العالم الروحي. ومن خلال هذه الدراسة، سيتمّ التعمق في تحليل الرؤى المختلفة حول الموت في الفلسفة الإفريقيّة، وكيف تعكس هذه الرؤى التعقيدات الفلسفية والروحية التي تميّز الثقافات الإفريقيّة؟ كما سيتمّ استكشاف كيفية تعامل المجتمعات الإفريقيّة مع مفهوم الموت، وكيف تؤثر هذه الفلسفات على سلوك الأفراد والجماعات في مواجهة الفناء.

الفلسفة الإفريقيّة

إنّ للفلسفة الإفريقيّة تاريخاً طويلاً وإن كان غير موثق وغير مكتوب وشفهي، إنه تاريخ يمتد من العصور القديمة إلى ما بعد الحداثة في الجوهر والشكل، وقد كانت المناقشات في السبعينيات حتى أوائل التسعينيات؛ حول طبيعة ووجود الفلسفة الإفريقيّة وقد وضعت طرق مختلفة حول التاريخ الطويل للفلسفة الإفريقيّة. لذلك، فإنّ أي مناقشة جادة للفلسفة الإفريقيّة يجب أن تكون على دراية بتاريخها^[1]. ظهر الخطاب الأكاديمي حول الفلسفة الإفريقيّة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، يُمكن التعرف على الفلسفة الإفريقيّة بأشكالها المختلفة على أنها رد فعل لوجهة النظر

[1]- Etieyibo, 2018, P.13.

المنحطة نحو الإفريقي وفلسفته؛ التي كانت وما زالت سائدة في العالم الغربي^[1].

الفلسفة الإفريقيّة هي النظريات التي يُمكن استنتاجها من الأماكن الإفريقيّة الأصيلة والأدب الإفريقي ما بعد الاستعمار باعتبارها ردوداً على الأسئلة والمشكلات التي هي في الأساس فلسفية بطبيعتها، بالإضافة إلى نقد وإعادة بناء أو تفكيك مثل هذه النظريات والاستجابات. إنّ الاستجابات الإفريقيّة للأسئلة الفلسفية مثل طبيعة الواقع والوجود والمعرفة والأخلاق وطبيعة العقل البشري والهوية الشخصية، هي جزء لا يتجزأ من المعرفة الإفريقيّة الأصيلة^[2].

الدين الإفريقي التقليدي

وفقاً لما ذكره جون ميبتي في كتابه الأديان الإفريقيّة والفلسفة؛ الأفارقة مشهورين بالدين، يتخلل الدين جميع جوانب الحياة، لدى الأفارقة نحو ثلاثة آلاف جماعة إفريقيّة ولكل منها منظومتها الدينية لذلك عند الحديث عن الدين الإفريقي يتم التحدث بصيغة الجمع؛ نظراً لتعدد المنظومات الدينية بتعدد القبائل. الأديان التقليدية الإفريقيّة ليست من أجل الفرد، بل في المقام الأول من أجل الجماعة. هناك عدة ملامح تتسم بها الأديان الإفريقيّة وإن كانت تلك الملامح تمثل صعوبات في دراسة الأديان الإفريقيّة التقليدية، أبرز هذه الصعوبات عدم وجود كتاب مقدس، الدين في المجتمعات الإفريقيّة ليس مكتوباً وإنما محفوظ في قلوب وأذهان الجماعة وفي التاريخ الشفهي والطقوس والشخصيات الدينية. أيضاً الأديان التقليدية ليست أديان عالمية؛ وإنما هي أديان قبلية يرتبط فيها كل دين بجماعة محددة بحيث لا ينتقل دين جماعة إلى جماعة أخرى، ولا يوجد تحول دين تقليدي إلى آخر داخل الجماعة، كما أن الأديان الإفريقيّة ليس لها مؤسسون أو مصلحون وإن كان يتضمن أبطالاً وحكاماً مشهورين من الرجال والنساء في هيكل المعتقدات والأساطير^[3].

الاهتمام بالفلسفة والدين الإفريقي

بدأ الاهتمام بالأديان التقليدية والفلسفة منذ منتصف القرن العشرين، بحيث أصبحت موضوعات جديدة بالاحترام كفروع من فروع المعرفة الأكاديمية. تمت معالجة الأديان الإفريقيّة بعدة مراحل؛ أولها معالجة مبكرة على يد باحثين ألمان زعموا أن المعتقدات الإفريقيّة والسماوات الثقافية جميعها تمت استعارتها من العالم الخارجي، وأن السماوات الدينية المختلفة وصلت إفريقيا من الشرق الأوسط وأوروبا، ووفقاً لميبتي إنّ إفريقيا احتكاكاً بالعالم الخارجي إلا أن عملية التأثير لم تتم في

[1]- Coetzee. 2003. P.115.

[2]- Ukpokolo I. E. 2023. P.5.

[3] - ميبتي. 2023. ص 17: 21.

اتجاه واحد، بل إنّ علاقة التأثير تمثلت في الأخذ والعطاء^[1]. وتعد المرحلة الأكثر تقدماً في دراسة الأديان الإفريقيّة بدأت في السنوات الحديثة بدأت مع معالجة المبشر البلجيكي بلاسيدا تيمبلز في كتابة فلسفة البانتو^[2]، وفقاً لتيمبلز إنّ الشعوب البدائية لديها رؤية محددة للوجود والكون، ومفتاح رؤية تيمبلز للأديان الإفريقيّة والفلسفة ما يطلق عليه «القوة المفعمة بالحيوية والنشاط»، القوة هي الوجود والوجود هو القوة. أيضاً كتاب جى جاها من مانو^[3] Mantu، يُعد الاسهام الأساسي في هذا الكتاب هو إظهار حقيقة أن الأفارقة لديهم شيء من القيمة الفلسفية تستحق أن تؤخذ وتدرس بجدية. ثم كتاب الإنجليزي تايلور الرؤية البدائية عام 1963، وفيه يقدم تايلور كل شيء كما لو كان شديد القدسية مفعم بقوة خارقة. القاسم المشترك بين الكتب الثلاث هو الرؤية التي بموجها ينظر إلى الأديان الإفريقيّة والفلسفة باعتبارهما واقعاً ملموساً في حياة الشعوب الإفريقيّة^[4].

الميتافيزيقيا الإفريقيّة

بشكل عام، يُمكن تعريف الميتافيزيقيا على أنها التحقيق في جوهر وخصائص وقوانين الوجود. يضيف لوتز، **Lotz, J. B** أن الميتافيزيقيا هي دراسة «ما هو أبعد من المادي»، بينما أوزومبا **Ozumba** يعتقد أن الميتافيزيقيا تتعامل مع طبيعة الوجود. يعرف بلاسيدا تيمبلز **Placide Tempels** الميتافيزيقيا بأنها دراسة «الواقع الموجود في كل شيء وفي كل كائن في الكون»، ويعرف ثيوفل أوبنجا **Théophile Obenga** الميتافيزيقيا الإفريقيّة، بأنها: الفرع الرئيسي للفلسفة الإفريقيّة، يجب أن تتعامل مع الواقع. إنها محاولة لشرح العلاقة بين ما يختبره البشر في تفاعلهم مع العالم المرئي والعالم غير المرئي من حولهم^[5]. تبحث الميتافيزيقيا التقليدية الإفريقيّة في مفاهيم مثل الوجود المطلق (الله) والطبيعة والإنسان، وأمور أخرى كالمصير.

الموت والمعتقدات القديمة

احتلت صورة الموت وعالم الموت حيزاً أساسياً في المعتقدات القديمة، هناك زعم بأن الدين ابتدأ عندما أدرك الإنسان الموت، وبدأ يدفن موتاه. ويشمل موضوع الموت على نهاية العالم وكيفية حصوله من نهاية للبشرية أو للأرض أو الكون كل هذه الأمور فضلاً عن محاولات الخلاص والوعد الذي تعطيه الأديان بالخلاص الفردي أو الجماعي ما يعطى للدين الأهميّة الكبرى للاعتقاد به، لذلك المؤمنون بالأديان لا يجدون في الدين نفعاً إن لم يكن هناك تصور عن نهاية العالم وكيفية

[1] - مبيتي. ص 25، 26.

[2] * (طبع بالفرنسية عام 1945، وبالإنجليزية عام 1959.

[3] * (الطبعة الألمانية 1958، الإنجليزية 1961.

[4] - مبيتي. ص 31: 37.

[5] - Wilfred Lajul. 2017. P.19, 20, 22,33.

الخلاص. إذن شغل الموت عمومًا تفكير الإنسان وربما كان الموت هو أساس نشأة الدين. إنَّ السؤال الأهم في تاريخ الإنسان هو كيف ومن خلق الكون؟ ويقابله سؤال آخر عن مصير الإنسان بعد الموت، وكيف سيكون شكل العالم؟ وما طبيعة الروح؟ وهل سيبعث جسدًا فقط أم روحًا فقط أم سيبعث بكلاهما؟ فمثلما اهتم الإنسان بالتفكير وتفسير نشأة الكون اهتم أيضًا بمصير الكون بما فيه الإنسان وما المصير المنتظر له؛ لذلك قدمت المعتقدات الدينية القديمة تفسيرات متعددة ومتنوعة من خلال الأساطير حول الحياة والموت والمصير^[1].

قد لا توجد حضارة من الحضارات الشرقية القديمة اهتمت بقضية الموت والخلود مثلما فعل المصريون القدماء. فالموت في مصر القديمة ذو مكانة مقدسة، لم يعتبر الموت نهاية الحياة، ولكنه بداية الخلود عند المصريين القدماء. ومثلما عنت الفلاسفة الشرقية القديمة والفلسفة اليونانية بقضية الموت والبحث عن المصير المجهول، عنت أيضًا الفلسفة الإفريقية بالبحث في الموت وعلاقته بالخلود، وبالنظر إلى الثقافات الإفريقية المختلفة نجد أن الموت هو مصير فوري للجميع. الموت انتقال طبيعي من الأنطولوجيا المرئية إلى غير المرئية أو الروحية حيث لا تتدمر الروح، جوهر الشخص، ولكنها تتحرك لتعيش في عالم أسلاف الروح. هذا المعنى المرتبط بالموت يتوافق مع المفاهيم الثقافية والتاريخية المعرفية والمنهجية الإفريقية للوجود في العالم، ويرتكز على هذه الأبعاد^[2].

المفهوم الإفريقي والمفهوم الغربي للموت

يختلف المفهوم الإفريقي للموت عن المفهوم الغربي، بشكل عام لدى الأفارقة نظرة متفائلة للموت ربما بسبب إيمانهم بالحياة بعد الموت. بالنسبة للأفارقة، على عكس بعض الغربيين، للحياة معنى، ولها هدف، إنها مؤسسة مقدسة وقيمة؛ وبالتالي فإنَّ الحياة هي هدية تقدر من الخالق. وبالتالي فإنَّ أي شيء يتعارض مع مبدأ الحياة هو أمر مخيف وغير مرغوب فيه وفي الواقع يعاقب عليه. وبالتالي، يعتبر الموت في النظرة الإفريقية للعالم جزءًا لا يتجزأ من الحياة المتناغمة مع مبدأ الحياة والطبيعة والله. الحياة هي بالتالي جزء من العناية الإلهية. الموت هو أحد طقوس العبور الأساسية في العقل الإفريقي وهو مفهوم على أنه انتقال يتضمن التحول من الوجود المادي إلى الوجود الروحي؛ حيث يعتبر الراحلون مستمرين في وجودهم في عالم الأجداد. الموت هو الانتقال من هذا الأسلوب الأرضي للوجود إلى العالم الروحي. وفي إفريقيا الواقع الحياة لا تنتهي بالموت؛ الموت لا يعتبر نهاية للحياة. مع الموت، تأخذ الحياة شكلًا مختلفًا للوجود لا يتعارض

[1] - الماجد، خزعل. 2016. ص 37.

[2] - Baloyi, L. & Makobe - Rabothata. M. 2014. P.235.

بأي حال من الأحوال مع الشكل السابق، كما أنها ليست منفصلة تماماً عنه^[1].

يتميز الفكر الغربي بالثنائية في العديد من الجوانب المهمة كالروح مقابل الجسد، الحياة مقابل الموت، الوجود مقابل العدم، الهوية مقابل الاختلاف وغيرها، إلا أن الإفريقي لا يشارك الغرب في هذه الثنائية، في الفكر الإفريقي لا يعتقد أن الإنسان يتكوّن من جسد وروح فقط، بل يتكوّن من ثلاث مكونات وقد تصل إلى خمسة في بعض الثقافات، وإلى جانب الجسد والنفس هناك إشارة إلى الروح وكذلك الظل وهو ما لا يوجد في الفكر الغربي، وهي رؤية تتفق مع الفكر المصري القديم^[2]. في النظرة الأوروبية ينظر إلى الحياة على أنها تتكوّن من مراحل منفصلة، تبدأ بالحمل وتنتهي بالموت؛ ولذلك فإنّ الموت يمثل المرحلة النهائية من الحياة، في حين أن النظرة الإفريقية للعالم تفهم الموت باعتباره عملية حياة تنموية متكاملة ومستمرة لا يُمكن فصلها عن الروابط المتشابكة بين الأنطولوجيا المرئية وغير المرئية. لا يتوقف الناس عن الوجود بمجرد موتهم جسدياً، بل يتجاوزون إلى العالم الروحي ليعيشوا في مجتمع الأموات الأحياء. بالنسبة للأفارقة الموت هو انتقال إلى مرحلة مختلفة من الوجود ويتجاوز الموتى إلى حالة الخلود الجماعي ويتواجد برفقة الأرواح^[3].

المصير: المعنى والدلالة

إنّ مفهوم المصير هو مفهوم غامض لديه أكثر من معنى. بمعنى ما، يتم استخدامه للإشارة إلى مسألة «القدر»؛ كما هو الحال عندما تنقطع حياة واعدة بشكل حاد قبل أوانها، ربما بسبب حادث. وبمعنى آخر، يتم استخدامه للإشارة إلى حالة الإنسان بعد الموت، وإلى نهايته. باعتباره المصير، يُنظر إلى القدر على أنه قوة مطلقة غامضة تخضع لها جميع الكائنات الحية، والتي يُمكن تجسيدها أو وصفها بأنها غير شخصية. إنها وحدة أو وكالة ينظر إليها على أنها ضرورة حتمية تسيطر على كل شيء. تُظهر تجارب الإنسان مدى محدودية قدرته على صياغة الأحداث بما يتوافق مع أغراضه. لقد انطبع عليه أصله والعديد من تجارب حياته، أولاً كحقائق خارجة عن إرادته؛ وثانياً كبيانات يجب عليه أن يمارس عليها ذكاؤه. هذه الحقائق التي لا يُمكن السيطرة عليها تشكل حقيقة الإنسان أو مصيره^[4].

[1] - Mwanja, Patrick. 2016. P. 3, 4.

[2] - Takov, Peter. 2022. P 2915.

[3] - Baloyi, Lesiba. 2014. P. 236.

[4] - Ogbujah, C.N. 2008. P.413.

أصل الموت (الموت في الأساطير الإفريقية)

في العديد من الأساطير المنتشرة في جميع أنحاء إفريقيا، كان الموت دائماً يعزى إلى خطأ معين. قام مبيتي (1975) بتسليط الضوء على بعض هذه الأساطير المحيطة بالموت وأصله. وفقاً لأسطورة الشونا، كان البشر في الأصل خالدين، لكنهم تعرضوا للموت لاحقاً. في إحدى مجموعات الأساطير، كانت السماء والأرض متصلتين بحبل، ولكن بسبب «خطيئة» الإنسان، انفصلتا. وبحسب بعض الأساطير، فإن عصيان الإنسان أدى إلى هذا الانفصال. ومع ذلك، يعزو آخرون الانفصال إلى الحيوانات. زاعمين أن فأراً عض الحبل وقطع السماء عن الأرض^[1]. أيضاً إحدى هذه الأساطير هي أن الله أعطى الإنسان الأول واحدة أو أكثر من المواهب الثلاث: الخلود، القيامة، القدرة على أن يصبح شاباً مرة أخرى، لكن جميعهم فقدوا، وجاء الموت للعالم. وهناك تفسيرات مختلفة لكيفية حدوث الخسارة وكيف حدث الموت. أراد الله للإنسان أن يعيش إلى الأبد، أو أن يقوم مرة أخرى إذا مات. أعطيت هذه الرسالة لأحد الحيوانات ليأخذها إلى الرجال. يعتقد أن هذا الحيوان هو الحرياء. لكن الحرياء تباطأت في الطريق وأخرت الرسالة. وفي هذه الأثناء أرسل الله حيواناً آخر يقال إنه طائر أو سحلية، أو أرنب يحمل رسالة أخرى مفادها أن الناس سيموتون. ووصلت الرسالة الأخيرة إلى البشرية قبل رسالة الخلود أو القيامة، ومنذ ذلك الحين بقي الموت في العالم. ويقال إن الله أرسل في نفس الوقت كلباً برسالة الخلود وضمفدع برسالة الموت، وفي الطريق توقف الكلب ليأكل، فوصل الضفدع إلى الرجال أولاً وأبلغهم رسالته، ثم وصل الكلب بعد فوات الأوان. وفي رواية أخرى أن الله كان يصطاد الموت إذا ظهر. وطلب من الرجال البقاء في منازلهم وعدم توفير مكان للموت إذا رأوه يهرب، لكن امرأة ذهبت لتعمل في حقولها، وبينما هي هناك جاءها الموت وطلب الحماية وسمحت له بالاختباء تحت ملابسها، أو في نسخة أخرى ليدخل في فمها. جاء الإله مع كلاب الصيد الخاصة به لتطارده، وعندما وجد بحكمته العظيمة أن المرأة أخفته، قال لها وللناس أن يحتفظوا بالموت بعد ذلك. تؤكد هذه الأساطير وغيرها كثيراً أن الموت جاء عن طريق الخطأ تقريباً، ومنذ ذلك الحين بقي بين البشر، يقع اللوم على الإنسان وخاصة النساء والحيوانات وفي بعض الحالات على الأرواح أو الوحوش. على الرغم من أن كل هذه الأساطير لا تتحدث عن كيفية التغلب على الموت أو إزالته من العالم يوماً ما. وهكذا أفسد الموت جنة الإنسان الأصلية وفقاً للمعتقدات الإفريقية^[2].

[1] - Shoko, Tabona. 2008. P. 8, 9.

[2] - Chukwuedo, M.U& Ede, A. Ch. 2019. p. 94, 95.

أسباب الموت

في حياة الإنسان في الديانة الإفريقيّة التقليدية، يرجع الموت دائماً إلى سبب ما. على الرغم من أن الناس يعتقدون أن الموت جاء إلى العالم في وقت مبكر جداً من تاريخ البشرية، فإنهم يعتقدون أيضاً أنه في كل مرة يموت فيها شخص ما، فإنّ هذا الموت بسبب، هناك عدة طرق يتم من خلالها الموت ويعطي مبيتي أربعة طرق يأتي بها الموت للإنسان وفقاً للمعتقدات الإفريقيّة. السحر، ويعتقد أن السحر والشعوذة سبب الموت، ولذلك؛ عندما يموت شخص ما، يحاول الناس في كثير من الأحيان معرفة من استخدم السحر أو الشعوذة ضد الشخص الميت. غالباً يتم إلقاء اللوم على شخص ما، وفي بعض الحالات يتعرض المشتبه به للضرب أو تعريمه أو طرده من المجتمع. الأرواح، أحياناً يتم إلقاء اللوم على الأرواح في وفاة شخص ما. قد تكون هذه الأرواح الأشخاص الذين لديهم ضعينة ضد الشخص، أو الذين لم يتم دفن جثثهم بشكل صحيح، أو الذين أهملهم أقاربهم لسبب أو لآخر. الوافيات الناتجة عن الأرواح نادرة؛ لأنه في معظم الحالات يجد الناس دائماً شخصاً ما في القرية هو السبب أو يشتبهون فيه.

اللعنة، هي أمر يثير مخاوف كبيرة في مجتمعات كثيرة، ويعتقد أن اللعنة القوية تأتي بالموت للشخص المقصود؛ لذلك يجتهد الناس في تجنب اللعنات. الموت الطبيعي، يعتقد أحياناً أن الله قد يدعو كبار السن لتترك الحياة، ولكن هذا الاعتقاد نادر الحدوث، ولا يوجد مثل هذا الاعتقاد إلا في عدد قليل من المجتمعات. عادة يستبعد الله دائماً من الصورة عندما يتعلق الأمر بأسباب الوفاة، على الرغم من أن الناس يعتقدون أنه إذا لم يسمح بذلك، فلن يموت الشخص. يُمكن أن يكون سبب الوفاة جسدياً أو غامضاً، تشمل الأسباب الجسدية للوفاة المرض، والشيخوخة، والحوادث، والبرق، والزلازل والفيضانات وغيرها الكثير. أما الأسباب الغامضة فتشمل اللعنة والسحر والأرواح. لا يكفي معرفة الأسباب الجسدية فقط، ويذل الناس جهداً كبيراً في إثبات الأسباب الغامضة أيضاً من خلال استشارة العرافين ورجال الطب، أو من خلال الشك والتخمين^[1].

الموت والخلود

كما قال هايدغر إنّ الفرد كائن متجه نحو الموت «ما أن يأتي الإنسان إلى الحياة حتى يكون مستأً بما فيه الكفاية كي يموت» الموت بالمعنى العام هو ظاهرة من الحياة^[2]، كذلك قال مبيتي مع تقدم الفرد في السن فإنه في الواقع يتحرك تدريجياً من الساسا (الحاضر) إلى زمانى (الماضي). فمنذ الولادة إلى تحول الشخص تدريجياً إلى إنسان كامل، كذلك الموت هو عملية يتحرك فيها

[1] - Mbiti. 1975. P.111, 112.

[2] - هايدغر. 2012. ص.444.

الشخص تدريجيًا من فترة ساسا إلى فترة زماني. وبعد الموت المادي المتمثل في الجسد لا يزال الفرد موجودًا في فترة ساسا ولا يختفي على الفور ويذكر من قبل الأقارب والأصدقاء الذين عرفوه في هذه الحياة، إنهم يذكرونه بالاسم وهذا الذكر بالاسم شديد الأهمية قد يستمر ظهور الميت والاعتراف باسمه لمدة تصل إلى أربعة أو خمسة أجيال ما دام هناك شخص على قيد الحياة قد عاصر هذا المتوفى، وعندما يموت آخر شخص يعرف المتوفى فإنَّ الشخص الميت الأول يفقد وجوده من أفق ساسا وقد أصبح ميتًا تمامًا بقدر ما يتعلق الأمر بروابط الأسرة. وقد غرق في فترة الزماني. في حين أن الشخص الميت يذكر بالاسم فإنه ليس ميتًا حقًا فهو حي؛ لذلك يسميه مبيتي ميتًا حيًا. هو شخص ميت جسديًا، ولكنه حي في ذكرى أولئك الذين عرفوه في حياته فضلًا عن كونه حيًا في عالم الأرواح. فما دام الأموات الأحياء يذكرون على هذا النحو يبقى في حالة خلود شخصي ويخرج هذا الخلود الشخصي في الاستمرارية الجسدية للفرد من خلال الإنجاب بحيث يحمل الأطفال سمات والديهم أو أسلافهم. مع مرور الزمان تغرق الحياة الميتة وراء أفق ساسا ويتم الوصول إلى النقطة التي لا يكون هناك أي شخص على قيد الحياة يتذكر شخص بالاسم، ثم تكتمل عملية الموت، لكن الموتى الأحياء لا يختفون من الوجود هم يدخلون في حالة الخلود الجماعي^[1].

عقيدة التناسخ في الثقافة الإفريقية

التناسخ هو عقيدة انتقال الروح عند الموت إلى جسد آخر سواء كان جسدًا حيوانيًا أو بشريًا. ويبدو أن هذا التعريف لا يعطي التناسخ تعريفًا مختلفًا عن هجرة الأرواح، كما سنرى لاحقًا أن التناسخ ليس هو نفسه هجرة الأرواح. لا تقبل جميع الثقافات المعتقدات القائلة بأنَّ الروح البشرية يُمكن أن تتجسد مرة أخرى في أجساد غير بشرية، لكنها لا تزال تعتقد أن الروح يُمكن أن تتجسد مرة أخرى. التناسخ هو الاعتقاد أنه بعد وفاة شخص ما؛ تنفصل روحه الخالدة عن الجسد وتعيش مرة أخرى في جسد مادي آخر لتبدأ حياة أخرى من جديد. وفقًا لصوفي أولوول، فإنَّ الفكر التقليدي الإفريقي يدعي ثلاثة أنواع من المبررات للاعتقاد في التناسخ. الأول هو التشابه العائلي، وفي هذه الحالة يشبه الأطفال أسلافهم المتوفين، ويمتلكون بعض السمات الجسدية والعقلية المطابقة لسماتهم. إنَّ العلامات غير الطبيعية والظرفية التي تظهر على بعض الأشخاص، مثل طلاقات الرصاص والشوّهات المتعمدة والعرضية على الموتى، تظهر أيضًا على الطفل الذي يولد. لا يُمكن تفسير ذلك بشكل كافٍ على أنه سمة عائلية بيولوجية. مبرر آخر هو ابيكو Abiku (بين اليوروبا) أو أوغبانجي Ogbanje (بين الإيغبو). الشوّهات التي تحدث على أجساد الأطفال بسبب

[1] - مبيتي. 2023. ص 51، 53.

اليأس لمنعهم من العودة، تظهر على هؤلاء الأطفال عندما يولدون من جديد. المبرر الثالث هو نقل الذاكرة. ويشهد على ذلك قصص الأطفال الذين تمكنوا من سرد تجارب الحياة الحقيقية لأسلافهم بتفاصيل مذهلة، ولكن لم يكن لديهم إمكانية الوصول المباشر إلى قصص هؤلاء الأسلاف. كل هذه المبررات للتناسخ موجودة جيداً بين شعب اليوروبا أيضاً^[1].

مفهوم الموت في بعض الثقافات الإفريقيّة

أولاً ثقافة أكان Akan غانا/بشكل عام لا يُعرف الأكان الإنسان بمكونات مادية مثل اللحم والدم. ينظر سكان الأكان الأصليون إلى الإنسان على أنه يمتلك أشياء أيضاً غير مادية، العناصر الماديّة والاجتماعيّة. هما اوكرا (Okra، aw-krah). قوة الحياة موجيا (mogya mo-ja). الدم (n-toro). بينما الجسد (nipadua ni-pa-du-a) والروح (sunsum sun-sum). المصطلحات «أو كرا» و«سونسوم» (قوة الحياة، الروح) تشير إلى جوانب غير مادية، في حين أن «نتورو» و«موغيا» (الدم، الجسد) يتعلقان بالأحياء الوراثية، والتي تتحمل مسؤولية الانتماءات الاجتماعية للطفل. هذه هي المواد الأساسية للإنسان. إنّ انفصال اوكرا عن الجسد هو الموت. الفصل بين الـ «أو كرا» والجسد هو الموت^[2]. وعن القدر يعتقد الأكان أن كل شخص يولد بمصير محدد مسبقاً ليحققه. يتم تحديد هذا المصير قبل دخول الفرد إلى العالم. يتم تجسيد هذا المفهوم في مصطلح الأكان «نكرابيا» Nkrabea، الذي يعني «المصير». «نكرا» يعني «رسالة»، و«بيا» يعني «طريقة»؛ ممّا يعني وداعاً أو مغادرة. إنه الأوكر Okra الذي يحمل هذا المصير. وبالتالي، فإنّ الميتافيزيقا الأكانية تفترض حقيقة أن الأوكر كانت موجودة مسبقاً مع الله. وبعبارة أخرى، فإنها لا تموت. سيتم فهم هذا المفهوم على أنه الطريقة التي يتلقى بها الشخص مصيره من الله^[3].

في حين أن العلم قد يكون محدوداً بما يحدث عند وفاة الفرد، فإنّ علم الموتى التقليدي في أكان يقدم إجابات لبعض الأسئلة الصعبة التي غالباً ما تُطرح حول ما يحدث أثناء الموت وبعده. يقبل شعب أكان الموت كجزء من الحياة. تمّ العثور على مثل هذه الفكرة في أمثال أكان، الموت نير الجميع "Owuo da amansan kOn mu". تشير أمثال أكان فكرة الموت كحركة من نقطة إلى أخرى، وكحالة طبيعية. بالنسبة للأكان، يعتبر الموت فصلاً جوهرياً. إنه فصل الأوكر والنياداوا Okra and the nipadua الذي يؤدي إلى الموت. لأن حياة الفرد تحتوي على أبعاد مادية ولا مادية، يُحدد الحياة والموت بوحدة أو فصل هذه العناصر. على سبيل المثال، لاحظ جيكي أن الجسد (النياداوا) يعاني الموت بينما تنجو الأوكر منه. يؤدي تدمير الجسد إلى فصل الشخص عن

[1] - B. Oḷádotun. Falana, Oṣanyinbí, Kehinde. 2016. P. 60, 62.

[2] - Owusu-Gyamfi, C. 2019. P.6.

[3] - Owusu-Gyamfi, C. 2019. P.14, 15.

الأحياء. يبدو أن هذا الفصل يكون مجرد اختفاء جسدي للفرد، الأموات يعيشون دائماً مع الأحياء وفقاً للتقاليد الأكانية. تسافر الأوكرا إلى أساماندو (عالم الأرواح للأموات) ككائن معظم بعنوان أسلاف. في الحالات النادرة حيث تم تغيير مصير الفرد بواسطة الأرواح الشريرة أو الحوادث، يعود الأوكرا إلى الحياة ليحقق مصيره الإلهي^[1].

الأكانيون كغيرهم من الشعوب الإفريقية؛ يعتقدون أن بعض الوفيات شريرة. بشكل عام، يتم تحديد الفكرة من خلال الوفيات التي توصف *atofowuo* وهي الوفيات التي غالباً توصف بأنها: غير طبيعية أو غريبة. وهي تنطوي على جميع أنواع الوفيات المبكرة، مثل: الوفاة بالنار، والبرق، والغرق، والقتل بسقوط شجرة، والقتل والتشويه، وكذلك فقدان الحياة بسبب أمراض غريبة. تعتبر هذه الوفيات شريرة لأنه يُنظر إليها على أنها عقاب محتمل من الآلهة أو الموتى الأحياء. باختصار، الموت الشرير يشير إلى ما قد يعتبره الأكان موتاً فظيماً^[2].

إنَّ الخوف والانزعاج والخوف الذي يجلبه موضوع الموت إلى الأحياء كان منتشرًا منذ زمن سحيق في ثقافات مختلفة. وهكذا، من خلال الخرافات أو الاحترام، تمتنع العديد من الثقافات عن استخدام لغة واضحة في التعامل مع الموضوع؛ من أجل تخفيف التأثير السلبي لما يرغبون في توصيله بالفعل. إنَّ الموت «من المحرمات القائمة على الخوف»، بحجة أنه في محرمات الموت تتعايش مخاوف مختلفة، وهي الخوف من فقدان الأحباب، والخوف من فساد الجسد، والخوف من الأرواح الشريرة [هل هي شريرة] والخوف ممَّا بعد الموت. نظراً لصعوبة التصالح مع الموت، تعبر لغة الأكان عن التردد في التعامل مع موضوع الموت باستخدام مصطلحات مباشرة. ولذلك تلجأ إلى الألفاظ الملطفة بهدف تخفيف أو إخفاء الخوف والإهانة المرتبطة بمحرمات الموت بطريقة أو بأخرى. هناك خمس استعارات رئيسية للتعبير عن الموت تم تحديدها في اللغة الأكانية (الموت خسارة، الموت رحلة، الموت هو النهاية، الموت نوم/راحة، والموت شخص أي تجسيد)^[3].

ثانياً ثقافة الشونا **Shona** زيمبابوي/ وفقاً لشعب زيمبابوي إن الموتى قد تركونا إلى الأبد في هذه الحياة الجسدية وسيكونون روحاً في عالم آخر، ويشير إلى المتوفى بكلمة وفا *wafa* وتعني لم يعد فيه روح، وكلمة *warova* والتي تعني الاختفاء من الحياة الحالية، وكلمة *watungamira* والتي تعني لقد سبقنا. وهناك إجماع عام على أن الموت هو مجرد وضعية ينام فيها الناس في انتظار القيامة إلا أن القليل فقط هم من ينظرون إلى الموت باعتباره نهاية الحياة. يؤمن الزيمبابويين بتناسخ الموتى، ويقصد به ولادة الروح من جديد في جسد جديد

[1] - Ibid. P.15, 16.

[2] - M. MAJEED, Hasskei. 2022. P. 61, 62.

[3] - Owiredu, Charles. 2020. P. 408.

أو شخص يعتقد أن الروح قد ولدت من جديد في الجسد^[1].

في ثقافة وتقاليد الشونا، يُنظر إلى الموت دائماً على أنه غير طبيعي تماماً. ينظر الشونا إلى الموت بهذه الطريقة لأنهم يؤمنون بمبدأ السببية، الذي يتجذر في الرأي القائل بوجود علاقة بين السببية والقدر. عندما يتعلق الأمر بالموت، فإنّ مبدأ السببية يعني ضمناً أن فعل الموت غالباً ما يكون غير طبيعي لأنه ناجم عن قوة خارجية، سواء كانت بشرية أو غير بشرية. وفقاً لمتطلبات هذا المبدأ، يعتقد الشونا أن الموت يحدث دائماً بسبب قوة خارجية ولا يحدث بشكل طبيعي. نظراً لحقيقة أن الشونا لا يعتبرون الموت أمراً طبيعياً، فإنهم يبحثون دائماً عن سبب كل حادثة وفاة. في محاولتهم لمعرفة سبب الوفاة، يقومون في معظم الحالات بزيارة العراف. نظراً لأن شعب الشونا يعتبرون كل حادثة وفاة ناجمة عن عدو، فكلما وقع الموت، فإنهم دائماً ما يزورون العراف للتأكد من سبب الوفاة. في الثقافة الإفريقيّة، التي تعد ثقافة الشونا جزءاً منها، هناك اعتقاد بأن كل فرد يولد ولديه مسؤولية الأداء في أسرته ومجتمعه ككل. ويرى بيتيك Bitek أنه في الثقافة الإفريقيّة، لا أحد يولد حرّاً، ولكن كل إفريقي يولد «مقيداً». إن القيود التي يشير إليها هي مجموعة من المسؤوليات التي يجب على الفرد القيام بها في عائلته وعشيرته ومجتمعه. ولذلك، في تلك الثقافة، عندما يموت فرد، فإنّ ذلك يشبه فقدان أحد الأصول الحيويّة^[2].

ينظر الشونا إلى الموت باعتباره ليس مخيفاً، بل إنّ فعل الموت هو الشروع في رحلة من نوع ما. ولذلك فإنّ الموت هو بمثابة الخروج من (عالم الأحياء) والدخول إلى عالم آخر (عالم الأموات). وما يوضح أن الشونا (وخاصة كبار السن) لا يخافون من الموت، هو أنهم يقتربون منه بشجاعة. بين الشونا، «من المتوقع أن يكشف الرجل المحتضر عن مكان وجود أي موارد مخفية، ويتخذ الترتيبات اللازمة لتسوية الديون المستحقة، والاعتراف بأي جرائم معلقة ضد أفراد المجتمع من أجل تجنب الاتهامات ضد أفراد عائلته الباقين على قيد الحياة؛ ولذلك يقترب الشخص المحتضر من موته دون خوف، فهو يودع أفراد عائلته وعشيرته ويكون مستعداً لإجراء التعديلات والترتيبات لحل الأمور العالقة. ولأنّ الموت ليس مخيفاً بين الشونا، فإنهم في بعض الأحيان يسهلون عملية الموت إذا اكتشفوا أن الفرد يعاني من ألم شديد وسيموت بالتأكيد. يعتقد الشونا أنه عندما يموت الشخص، فإنه ينتقل من عالم الأحياء ويدخل إلى عالم الأحياء والأموات. كما يعتقدون أن الموت يجعل الشخص أقرب إلى مواربي (الله) لأن الأموات الأحياء هم في الموقع المباشر بين الإنسان والله وبين الإنسان والأرواح^[3].

[1] - Marava, J. Moyounotsva. 2015. 91.

[2] - Charamba, Tyanai. 2014. P. 51:53.

[3] - Charamba, Tyanai. 2014. P. 55.

وعن مصير الجسد يُمكن القول إنَّ طريقة حرق الجثث تتعارض تماماً مع التقاليد الثقافية. تقول فلسفة الموت في مجتمع الشونا الإفريقي إنَّ الروح تستغرق حوالي عامًا لتغادر الجسد وتنضم إلى أرواح الأجداد. إذا تم حرق الجسد، فسيتم حظر تلك الروح. وعلى الرغم من أنه سيقى على قيد الحياة، فإنه سيشعر بالغضب لأن طقوس الدفن التقليدية لم يتم اتباعها بشكل صحيح ويمكن أن تعود لمعاقبة الأسرة والمجتمع. في ثقافة الشونا، يُحترم الموتى أكثر من الأحياء. لا يخافون منهم. ويوافق بورديلون Bourdillon على أن الموتى يُحترمون، حتى أضعف روح (الطفل). لكنه يضيف أن عنصر الخوف يصاحب هذا الاحترام، لرفات البشرية يجب أن تعامل باحترام؛ لأن الأجساد كانت هياكل للروح القدس^[1]. وعن فكرة الثواب والعقال بعد الموت يرى الشونا أن الموت لديه القدرة على تطهير الفرد من ممارساته السيئة، إنه حتى لو كان شخص ما شيطانياً في اتصالاته وأفعاله اليومية، فإنه يغفر له بمجرد وفاته؛ ممَّا يجعله طاهراً أمام أفراد مجتمعه الأحياء. نظراً لأن الشونا لا يؤمنون بأي شكل من أشكال الحكم النهائي الذي سيأتي بعد الموت، وبما أنهم يعتقدون أن الموت يطهر المتوفى، فإنهم لا ينظرون إلى الموت على أنه غريب على الرغم من الطريقة التي يتصرفون بها في مجتمعاتهم خلال حياتهم^[2].

ثالثاً ثقافة الإيغبو Igbo في نيجيريا/ ينظر إلى الموت في ثقافة الإيغبو على أنه رحيل وليس إبادة كاملة للشخص، التغيير الرئيسي عند الموت هو انحلال الجسد الفاني وروحة الجسد الذي ينتقل بعد ذلك إلى مستوى آخر من الوجود للانضمام إلى صحبة الراحلين، وهكذا فإن الموت يعطل فقط إيقاع الحياة لكنه لا يدمره. الموت هو نهاية الحياة الجسدية، سيموت بعض الناس وهم أطفال وآخرون في سن الشباب، والبعض الآخر نتيجة مرض وغيرهم في حوادث بينما لا يزال آخرون في سن الشيخوخة، وفي النهاية الموت ينتظر الجميع، ولهذا السبب يقول المثل التقليدي (من يفرح بموت شخص آخر عليه أن يعلم أن الموت ينتظره) (Onye na-anu onye nwuru anwu onu, ufo, onwu, na eche ya). الموت هو النهاية الحتمية لحياة كل إنسان. في ثقافة الإيغبو تجربة الموت مخيفة ومدمرة في نفس الوقت، لذلك يتم التعامل مع خبر الموت بحظر شديد حيث لا يصرح عادة بأن والد فلان مات بل يقال غادر والمغادرة إلى وجهة غير محددة بالنسبة لهم بمثابة نهاية الحياة، فهناك اعتقاد بين الإيغبو بأن الموتى قد ذهبوا إلى منزل الأرواح. وهكذا ينظر إلى الموت على أنه بداية الرحلة إلى المستقبل العظيم، العودة إلى الوطن إلى أرض الأرواح، فالحياة على هذه الأرض تشبه الرحلة، والدار الحقيقية هي في الآخرة^[3].

[1] - Shoko1, Tabona. 2008. P. 12, 13.

[2] - Charamba, Tyanai. 2014. P. 57.

[3] - Ogbujah. C. N. 2008. P.414, 415.

وبالنظر إلى فكرة الخلود فهي نابعة من فكرة الحياة الآخرة. إنَّ مفهوم الموت، الذي يُفهم على أنه توقف للحياة، لا يتلصق تمامًا حقيقة الحياة البشرية وغموضها. النباتات والحيوانات وكل أشكال الحياة الأخرى ما عدا الإنسان مغلفة بالموت. وذلك لأنَّ الموت كشر مادي لا يملك السيطرة على العناصر غير المادية، وجميع الثقافات متفقة على أن الإنسان عبارة عن بناء فوقى من المكونات المادية وغير المادية. إنَّ الخلود يعني الحماية من الموت. إنه يعني «وجوداً وشخصية طويلة الأمد (دائمة) للكائن العقلاني نفسه» مدة لا تنتهي من الحياة الشخصية، وبهذا المعنى فإنَّ «الخلود الشخصي يشير إلى الوجود الذي لا ينتهي للفرد في شخصيته وهو مميز عما يسمى «الخلود الجماعي» والذي وفقاً لمبيني، هو نقطة نهاية الإنسان حينما لا ستذكره أحد. ولذلك فإنَّ الخلود الشخصي^[1].

يتعارض مفهوم الإيغوبو للخلود الشخصي مع المفاهيم الأفلاطونية أو الأكثر شيوعاً حول «خلود الروح». في الأفلاطونية، كما هو الحال في معظم الفلسفات التي تتبع مبدأ الثنائية الديكارتية، يعتبر الجسد والروح مبدأين مختلفين للحياة، ويمكنهما العمل بشكل مستقل عن بعضهما البعض. عند الموت، تأخذ النفس الطبيعة الخاصة بكيانها بالكامل، بينما يهلك الجسد. ومن ثمَّ فهي «الروح» أو جزء من الإنسان يذهب إلى عالم الأرواح لوجود لا ينتهي، وليس «الكل». لكن الإيغوبو لديهم تصور متكامل للإنسان. وكما أن الموت هو في الأساس حدث يؤثر في الإنسان كله، كذلك يشمل الخلود أيضاً العناصر الكاملة في الإنسان^[2].

في مجتمع الإيغوبو التقليدي، هناك صلة واضحة بين خلود الأشخاص ومؤسسة الزواج. إنَّ الزواج وإنجاب الأطفال جزء لا غنى عنه من فضائل الشخص الذي بلغ الشخصية. عندما يموت الإنسان، من المتوقع أن يدفنه أبناؤه. ظاهرياً، لم يعد موجوداً، ولكن جزءاً من كيانه يبقى في ذاكرة أولئك الذين عرفوه أثناء حياته، إنَّ عائلته المباشرة، إذا جاز التعبير، هي التي تبقيه على قيد الحياة. إنَّ الخلود الشخصي للميت الحي يعتمد على ذريته. بوجه عام في الحياة البشرية، تُعد الولادة والموت بوابات ضرورية للمراحل الأرضية وحياة الأجداد. المرحلتان متتابعتان وضروريتان للغاية بحيث تظل حياة الإنسان في ثقافة الإيغوبو عبارة عن سلسلة متصلة من الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة. وهذا هو مصير الجميع^[3].

رابعاً ثقافة اليوربا Yorba في نيجيريا/ يعتقد اليوروبا في نيجيريا أن الإنسان يتكوّن من جسد مادي وروح روحية. عند الخلق، تقول أساطير الخلق اليوروبية إنَّ أولودوماري Olodumare عمل

[1] - Ibid. p. 418.

[2] - Ibid. p. 419.

[3] - Ibid. p. 420, 430.

بالتعاون مع بعض الآلهة لجلب الإنسان إلى الوجود. وهذه الآلهة هي أوريسانلا Orisanla (إله الخلق) God of creation وهو المسئول عن تشكيل الجسم، أوغون Ogun (إله الحديد) God of iron هو المجلد؛ الذي على سبيل المثال قطع اليدين إلى أصابع وألودوماري Olodumare أعطى الروح^[1].

الاعتقاد السائد بين اليوروبا أن الروح تستمر في الوجود في الحياة الآخرة. إيمانهم يعطي بعداً ثلاثي الطبقات للروح. أولاً، النفس كيان غير مرئي يمثل طفلاً غير مرئي لم يولد بعد في السماء. هذا هو الكيان الذي يظهر أمام أولودوماري Olodumare، الكائن الأسمى، لتلقي المصير الذي سيأتي الفرد إلى العالم لتحقيقه. ثانياً، النفس (الروح الشخصية)، التي لا تزال غير مرئية، تحيي جسد الإنسان المرئي على الأرض وتغمره بالحياة. ثالثاً، عند الموت، تغادر الروح، غير المرئية مرة أخرى، الجسد وتمثل الشخص الميت أمام أولودوماري للدينونة. ولا يوجد أي دليل على الإطلاق على أن النفس هي إنسان كامل العضوية في السماء قبل مجيئه إلى العالم وبعد موته في العالم. لكن المفاهيم التي لدى اليوروبا عن الروح غير ممكنة بدون شكل جسدي ما - الركوع أمام أولودوماري، والتحدث إلى حارس بوابة السماء، والمشى، والتلقي، والمحاسبة، والسرد، والحكم. مرة أخرى، عندما يحلم المرء بشخص ميت، فإنه يراه بنفس الخصائص الجسدية التي كان يتمتع بها دائماً عندما كان على قيد الحياة^[2].

يُميز الفكر الديني اليوروبي بين الجسد المادي (آرا) (ara) والعناصر الروحية التي تسكنه وتمنحه الحياة والفردية. ومع ذلك، هناك مفهوم مفاده أن الاثنين كيانان لا ينفصلان يشكلان شخصية الإنسان. ويشير ماكيندي Makinde إلى أنه صرف النظر عن الجسد والروح اللذين في الفكر اليوروبي، هما العنصران الرئيسيان (المادي والروحي) للشخص، هناك عنصر ثالث، روحاني أيضاً، للفرد. «شخص يُعرف باسم أوري (الرأس الداخلي) وظيفته تحديد مصير الإنسان. ذهب ماكيندي إلى أبعد من ذلك قائلاً إنَّ مفهوم اليوروبا لاختيار المصير من خلال أوري يؤكد أيضاً على الحاجة إلى العمل الجاد لتحقيق إمكانية النجاح التي يمثلها اختيار أوري جيد. وهذا يقودنا إلى الإيمان بالساق كعنصر مهم في شخصية الإنسان. وهذا يعني إلى حد كبير جداً أن النجاح هو الذي يحدد شخصية الإنسان. هذا النجاح في الإنسان هو ما يشير إليه شعب اليوروبا باسم «إينيان»^[3] "Eniyan".

في المعتقد اليوروبي هناك فئات من الموت، الموت السيئ أو الجيد، موت الشباب والمسنين.

[1] - Kanu, I. A & Omojola, I. O & Bazza, M. B. 2021. P. 327.

[2] - Ade. P. Dopamu. 2006. P. 1.

[3] - Kanu, I. A & Omojola, I. O & Bazza, M. B. 2021. P. 330.

يتعلق الموت الجيد بأولئك الذين يعيشون حتى سن الشيخوخة، ويتم منح هؤلاء الأشخاص طقوساً جنائزية كاملة. وتشمل الوفيات السيئة تلك الناجمة عن الآلهة المعادية للشر (الرعد والجدي والحديد)، وأولئك الذين يموتون صغاراً وأولئك الذين يموتون بدون أطفال. ويعتقد كبار السن أنه لا ينبغي أن يكون هناك أي قلق بشأن الموت؛ لأنه وسيلة العودة إلى الوطن وهي أصل كل إنسان. بالنسبة لليوروبا، يغلق الموت باب الوجود الجسدي والمرئي والجسدي للإنسان ويفتح باباً آخر، باباً لحياة جديدة. ولذلك فإنَّ المسن لا يواجه الموت كجبان. شجاعته شجاعة. في رأي آرثر بيكوك Arthur Peacocke، يجب أن يحدث الموت لإفساح المجال للآخرين ليأتي^[1].

يعتقد اليوروبا أن التغيير الذي يحدث في الجسم عند الموت ليس نهاية الحياة. ومن الأصح أن يسمى التغيير «تغيير الحياة». اليوروبا على استعداد تام للاعتقاد بأن روح المتوفى لا بدَّ أن تكون موجودة في مكان ما في الجنة. إنهم يعتبرون الموت شرطاً ضرورياً وكافياً لبلوغ خلود الروح. أوري (الروح) كما قلنا تأتي من أولودوماري وتعود إليه بعد الموت حيث يستمر وجودها. والتغيير يتم من الروح السماوية إلى إنسان في صورة جسدية. ثمَّ موت الجسد. ثمَّ بعد مراسم الجنائز المناسبة تعود الروح إلى السماء. وكل هذه التغيرات تخص النفس، وتؤدي إلى تغير الحياة من حال إلى حال. إذا لم يحدث التغيير، فإنَّ الروح كما نعرفها، ليس لديها فرصة للخلود. وبعد التغيير يحدث الاستمرارية، وكما في حالة التغيير، فإنَّ استمرارية الحياة تتعلق بالنفس. والاستمرارية تتم بالموت تغير النفس مسكنها وتستمر في الوجود في السماء. ثمَّ في السماء قد تحظى النفس بفرصة الخلود. ثمَّ من خلال التناسخ قد تعود الروح أيضاً إلى أي من أبنائه. يعتقد اليوروبا أن هناك حالة من الوجود، يُمكن للبشر بلوغها، خارج حدود أعمارنا البشرية الحالية. يُمكن أن يكون هناك نوع من الاستمرارية في الوجود بعد الموت، وهو ما تشهد عليه معتقدات وأفعال وممارسات الأشخاص الأحياء مثل تبجيل الأسلاف، ومهرجانات الأسلاف، ومفهوم الأحياء الأموات، والإيمان بالمشرفين الروحيين على شؤون الأسرة، الطقوس الجنائزية، آخر كلام المسنين، انتقال الموتى، القضاء الإلهي، التناسخ، عقيدة الروح ومعاقبة المخالفين أخلاقياً. ولن يسمح لنا الفضاء بفحصها جميعاً^[2].

توجد أنواع مختلفة من معتقدات التناسخ بين اليوروبا. الأول هو الاعتقاد بأن الشخص الذي يموت في سن الشيخوخة قد يعود، من باب المودة لأبنائه أو أحفاده أو أقاربه، ليولد من جديد في الأسرة ليعيش معهم مرة أخرى، ويسمى هذا النوع من التناسخ ipadaway (ولادة الأجداد). هذا هو الاعتقاد الأكثر شيوعاً واستمرارية في التناسخ بين اليوروبا. وهناك اعتقاد آخر ابيكو abiku (ولد ليموت). الشكل الثالث من اعتقاد التناسخ بين اليوروبا هو akudaaya (مات ثم ظهر). يعتقد

[1] - Ade. P. Dopamu. 2006. P. 8,9.

[2] - Ade. P. Dopamu. 2006. P. 10.

شعب يوروبا أن التناسخ قد لا يكون دائماً جسدياً بالكامل، ولفترة طويلة. وقد يظهر الشخص فجأة ليتدخل أو ينقذ أحد أفراد أسرته من مشكلة معينة، ليختفي بعد ذلك. يُمكن أن يكون ظهوراً مفاجئاً وقصيراً يأتي على شكل وميض يترك لدى الشخص انطباعاً لا يُمكن إنكاره. يتم التعرف على هذا الظهور مع حالات akudaaya. هناك مستوى آخر من الظهور الذي يحدث بانتظام في الأحلام أو يتبع نمطاً معيناً^[1].

وفي السياق الإفريقي، بما في ذلك اليوروبا، فإنَّ الأموات الأحياء هم الأسلاف. ليس كل ميت يصبح سلفاً «وبالتالي، بالمعنى الدقيق للكلمة، فإنَّ الشخص الذي لا يترك ذرية لا يُمكن أن يصبح روح الأجداد». كما أن الأطفال الذين يموتون لا يُمكن أن يصبحوا أسلافاً لأنهم لا يصلون إلى مرحلة الإنجاب. إنَّ الأسلاف هم جانب من جوانب التجربة الإفريقيَّة للكون فالموتى لا يعتبرون بعيدين جداً عن الأحياء، وأولئك الذين ما زالوا على قيد الحياة يدركون رحلتهم للانضمام إلى هؤلاء. الذين سبقوهم إلى أرض الأموات، فيما يتعلق بشعب اليوروبا، يصر مبيتي على أنهم غير متأكدين من مصير الراحلين: البعض يوضع في مكان جيد، والبعض الآخر في مكان سيء؛ والبعض الآخر في مكان سيء». المجموعة الأولى تلتقي بالأقارب وتعيش أكثر أو أقل كما فعل الناس في هذه الحياة، ولكن يعتقد أن المجموعة الثانية تعاني بلا نهاية^[2].

وبناءً على ما تقدم فهناك تأكيد أن اليوروبيين يؤمنون بالحياة بعد الموت، وأن التغيير الذي يحدث عند الموت يفتح الطريق أمام استمرارية الحياة الآخرة. والسؤال الآن أين موقع الآخرة؟ سوف يجيب اليوروبا على هذا السؤال بالإشارة إلى السماء. يتحدث اليوروبا عن الجنة كمكان موجود بالمعنى الحرفي للكلمة في السماء. إنهم يفكرون في تسلسل هرمي للسموات أو الكواكب، يضم أحدها على الأقل، الكائن الأسمى وكائنات روحية أخرى، بما في ذلك الآلهة والأسلاف. يعتقد اليوروبا أن الجنة مكان ممتع للغاية للذهاب إليه، وهو المكان الذي يتوق إليه كبار السن. كما يُحذر كبار السن من العيش في الجنة وفقاً للنمط المحدد للمكان^[3].

إنَّ عديداً من شعب اليوروبا يعتقدون أن الآخرة لها سمات مماثلة لتلك التي في الحياة الحاضرة. بالنسبة لليوروبا، فإنَّ الصورة الحقيقية للحياة بعد الموت هي حياة زمالة لا تنتهي في مجتمع الأهل والأقارب الذين ذهبوا من قبل إلى العالم الآخر، وهي رؤية تختلف جذرياً عن الرؤية

[1] - B. Oládótun. Falana, Osanyinbí, Kehinde. 2016. P. 62.

[2] - Kanu, I. A & Omojola, I. O & Bazza, M. B. 2021. P. 333.

[3] - Ade. P. Dopamu. 2006. P. 12.

الغربية والتي تتسم بشنائية العقل والجسد، وكلما ابتعدت الرؤية الإفريقيّة عن الرؤية الغربية اقتربت من الرؤية المصرية القديمة والتي تعتقد بخمسة أجزاء للبشر كما تعتقد بالخلود وتناسخ الأرواح وأيضًا الاعتقاد بالثواب والعقاب. وبمقارنة معتقدات اليوربا بالمعتقدات المصرية القديمة عن محاكمة الموتى يتضح أوجه الشبه الشديد بينهما وإن كانت اليوربا لم تتوصل لفكرة التحنيط كما كان في مصر القديمة. في الحقيقية لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التي احتلتها في نفس الشعب المصري القديم^[1]. اعتقد المصريون منذ القدم بوجود الروح، وكانوا يعتقدون بوجود عالم آخر، يجازى فيه الأخيار ويعاقب الفاسدون؛ ولأنّ الحياة الدنيا قصيرة لمعاقبة الأشرار ومكافأة الأخيار، فإنّ المصريين ابتكروا المبادئ الدينية باعتقادهم في عالم آخر^[2].

الفكرة المركزية الأكثر تأثيرًا دينيًا في مصر هي تصور لمحكمة في العالم الآخر، تبعًا لمثال محكمة البلاط الأرضية. ويجب على الميت أن يكون مستعدًا لكل أنواع الدعاوى ويعد لها العدة، فهي لن تكون أمام شاكين من البشر فقط، ولكن أيضًا من الجن أو الآلهة^[3]. ومن خلال المحاكمة ومن خلال تبرئه الميت من أي شرور في الحياة الدنيا يدخل إلى مملكة أوزوريس حيث الخلود السعيد، ومن يخفق في امتحان المحاكمة فإنه لا يدخل مملكة أوزوريس وفي هذا حد الشقاء والبؤس حيث يظل في قبره يظنيه الجوع والعطش، فمثلما يلقي المذنب عقابًا خاصًا في محاكم الدنيا، تخيل المصريون بعض العقوبات للميت الذي لم يبرر^[4]. التبرير هو المفهوم المركزي للديانة المصرية حيث تجتمع كل جوانب التغلب على الموت والخلاص في العالم الآخر، والتبرير في النصوص الجنائزية كان من عدة جوانب؛ يجب على الميت أن يبرر نفسه فيما يتعلق بالعدو كتجسيد للموت، فيما يتعلق بالعدو الذي قد يواجهه في العالم الآخر وربما يوجه إليه اتهامات، فيما يتعلق بالقاضي الإلهي الذي يجب على الميت أن يجيب في حضوره عن سلوكه على الأرض ويثبت أنه مستحق للخلاص الأبدي^[5].

أيضًا هناك تشابه في اعتقاد الأفارقة باعتقاد المصريين القدماء حول مكان العالم الآخر فمثلما اعتقد بعض الأفارقة أن العالم الآخر مكانه الأرض واعتقدت اليوربا أن العالم الآخر مكانه السماء

[1] - برستيد، جيمس هنرى. 2014. ص 64.

[2] - مهريز، مهراذ. 2003. ص 37.

[3] - إسمان. ص 217، 218، 219.

[4] - إرمان. ص 259.

[5] - Assman, Jan. 1989. P. 146.

كذلك اعتقد المصريين قبلهم. وفقاً للمصريين القدماء كان الملك يتمتع بالجنة السماوية كما هو وارد في متون الأهرام، كما تدل متون الأهرام على أن جنة الشعب على الأرض فتقول النصوص إنَّ الملك الراحل خوطب بالقول التالي «عن مائك مأواه السماء أما الآلاف فمأواهم الأرض»، ويقصد بكلمة ماء هنا النطفة التي يخرج منها نسله وذريته وهؤلاء مصيرهم جنة السماء، أما أفراد الرعية الذين يحكمهم الفرعون فكان مصيرهم الأرض^[1]. وهناك بعض الإشارات في المتون الجنائزية توحى بأن جنة عامة الشعب كانت على الأرض فقد كان يظن حتى نهاية الأسرة الخامسة تقريباً أن مركز هذه الجنة هو حقل القربان الذي يظن أن موقعه كان بلده هليوبوليس عين شمس وهذه البقعة المباركة تعتبر المركز الرئيسي لعبادة الإله رع الذي كان القوم يزعمون إنه أوَّل من حكم الدنيا ناشراً العدل والمساواة بين الجميع بقانون ماعت الذي سنه، ولكنه تخلى عن الحكم الديني لابنه ورفع نفسه إلى السماوات العلى وكان من جراء ذلك أن رفعاً معه حقل قربانه إلى العالم العلوي وأصبح مأواه الأبدى السماء وهناك كان ينعم ابن رع (الملك) بعيشة راضية في حقول قربان والده، أما عامة الشعب فقد ترك لهم حقول القربان التي على الأرض في هليوبوليس. إلا أن هذا الامتياز الخاص بالملك أخذ يشارك فيه في نهاية الدولة القديمة الأسرة المالكة ورجال البلاص بوصفهم أهل حاشيته ثم لم يمض زمنًا طويلاً حتى نهض عامة الشعب عن بكره أبيهم وقاموا بثورة اجتماعية دينية وطالبوا بالتمتع بالآخرة السماوية، فأصبحت حقاً مشاعاً لكل أفراد الشعب على السواء؛ أي أخذت المبادئ الديمقراطية الدينية تنتشر غير أن هذا الانقلاب الديني على ما يبدو لم يأت فجأة، بل أتى تدريجياً^[2].

ممَّا سبق يبدو الأثر المصري على المعتقدات الإفريقيَّة وعلى وجه التحديد على شعب اليوربا، وقد ذكر الشيخ أنتا ديوب في كتاب الأصول الزنجية للحضارة المصرية أوجه التشابه بين اللغة المصرية مع لغة اليوربا وكذلك تشابه المعتقدات الدينية والأفكار والممارسات الدينية. يذكر ديوب تماثل المعتقدات الدينية بين عقيدة اليوربا والعقيدة المصرية في فكرة الحياة الأخرى والحساب بعد الموت، وكذلك رسوخ الإيمان بالحياة الآخرة، أيضاً الإيمان بوجود روح حارسه، كما يوضح ديوب أن كافة المفاهيم المتعلقة بالكائن في مصر القديمة مثل الكا، الباء، والآخو، والخو، والساهو موجودة عند اليوربا، كما أن تماثل محفل الأرباب

[1] - حسن، سليم. ص 217.

[2] - حسن، سليم. ص 218: 220، فرانكفورت. ص 128.

المصرية مع اليوربا أصدق دليل لوجود اتصال قديم بين اليوربا والمصريين القدماء^[1].

ومثلما تقاربت الرؤية الإفريقية مع الرؤية المصرية القديمة، نجد أيضاً أوجه تشابه بين الرؤية الإفريقية والفلسفة الزرادشتية؛ فالإنسان عند زرادشت يتكون من جانبين؛ أحدهما مادي وهو الجسم، والآخر روحاني وهو الروح. أما الجسد التانو Tanu فله حالتان إحداهما قبل مفارقة الروح، والثانية بعد مفارقة الروح^[2].

الروح في الزرادشتية أورفان Urvan وهي المسؤولة عن كل القرارات والأفعال التي يقوم بها البشر، فالذات هي المسؤولة والقادرة على الاختيار بين الخير والشر؛ لذلك فإنَّ الروح هي من تكافأ على أعمال الإنسان. عن علاقة الروح بالجسد فإنَّ زرادشت يؤمن بوجود الروح قبل الجسد، فلم تخلق الروح مع الجسد، ولكنها تدخل الجسد بعد أن تنتقل إليه من العالم الروحي، وهي لا تفنى ولكنها تظل بعد الموت حيث ترسل إلى السماء أو إلى الجحيم وفقاً لعملها. وعن مصير الروح بعد الموت فقد بينت الزرادشتية أن الروح تمكث عند جثة صاحبها لمدة ثلاثة أيام وهي تنعم فيها أو تشقى تبعاً لأعمالها. وفي فجر اليوم الرابع بعد موت الإنسان تهب ريح عطره إذا كان الميت خيراً أو نتنة إذا كان شراً^[3].

وعن الجنة والنار فقد قسمهم زرادشت إلى درجات؛ الجنة ثلاث درجات والجحيم عدة طبقات حسب الأعمال والذنوب، وبالإضافة إلى الجنة والنار يوجد مكان وسط بين السماء والأرض بلا ثواب أو عقاب لأولئك الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وفي هذا المكان تبقى الروح حتى تكفر عن ذنوبها، ثم تنتقل على النعيم. إذن الحياة عند زرادشت هي مقدمة لما ستلاقيه الروح بعد الموت وهي مقدمة لحياة البعث؛ والبعث عنده نوعان قيامة فردية لكل من مات أثناء حياة الناس، والأخرى جماعية عندما يشاء الإله أهورامازدا بفناء الدنيا^[4].

وعلى الرغم من أن الموت أمرٌ لا مفرَّ منه وجزءٌ لا يتجزأ من واقع الحياة الإنسانية في الثقافة الإفريقية السياق، فهو ليس دائماً أمراً مرغوباً فيه لأن الحياة هنا على الأرض هي محور الحياة الوجود الإنساني في حد ذاته لا يضاهي مع أي شكل آخر من أشكال الوجود بالفعل بالنسبة للأفارقة، كانت الحياة على الأرض ذات أهمية حاسمة. وكان ينظر إلى الموت والحياة بعد الموت

[1] - ديوب. 1995. ص 245: 257.

[2] - سعد الدين، جيهان السيد. ص 308، 309/ الشواربي. ص 43.

[3] - مهريين. ص 208، 209/ سعد الدين. ص 310، 311.

[4] - سعد الدين. ص 313.

لا مفرَّ منه، ولكن لا يتطلع إليَّ. كان هذا العالم أفضل مكان يُمكن أن يعيش فيه الناس، إنَّ أعظم توقع يُمكن للمرء أن يتوقعه بعد الموت هو الاستمرار في المشاركة فيه حياة المجتمع. فالإنسان الذي عاش حياة أخلاقية صالحة وتوفي في سن الشيخوخة لأسباب طبيعية، يُمكن أن نتوقع أن يصبح سلفاً، أن يطلب منه التوسط نيابة عن المجتمع وتوقع أن يتجسد من جديد جزئياً من خلال عملية التسمية^[1].

بصفة عامة تقترب المعتقدات الإفريقية وتشابه مع المعتقدات المصرية القديمة والرؤية الفارسية القديمة والمتمثلة في الرؤية الزرادشتية، كما تشابه أيضاً مع بعض المعتقدات اليونانية، وكلما اقتربت المعتقدات الإفريقية من المعتقدات المصرية القديمة والفارسية القديمة ابتعدنا عن الرؤية العراقية القديمة؛ حيث اعتقد الإنسان العراقي في حتمية الموت بالنسبة لجميع البشر، وكان الموت عندهم من طبيعة الإنسان وتركيبية حيث إنه خلق ومعه موته وهو قانون طبيعي قدرته الآلهة عندما خلقت البشر وفي الوقت ذاته لم يتم تصور الموت غاية تنتهي عندها الحياة، وإنما يعني انفصال الروح عن الجسد، وأن الميت لا يعود إلى الحياة بل الذي يعود منه هو الروح التي تحيا الحياة الآخرة في عالم الأرواح، وهو العالم السفلي حيث تعيش هناك إلى الأبد دون قيامة أو رجعه. اعتقد العراقي القديم أن الروح هي التي تتحمل حسنات أو سيئات الشخص المتوفى، ومقر سكن الروح هو العالم السفلي، ويمثل هذا العالم الطبقة الأخيرة من الأرض التي تمتد فوق سقفه المياه الجوفية العميقة وقد وصفوه بأنه عالم مخيف محاط بأسوار سبعة يحرسها الشياطين وسمي هذا العالم بأسماء مختلفة منها «كيجال» و «الأرض التي لا رجعة منها» ويسكنها آلهة شديدة القسوة ويساعدها مجموعة من الشياطين والكتاب لتسجيل الموتى. لم يعتقد العراقيون بوجه عام بعالم آخر للثواب والعقاب أي لا جنة ولا نار عندهم، والعالم الآخر عندهم هو العالم السفلي عالم الجحيم^[2].

أيضاً بمقارنة الرؤية الإفريقية بالرؤية اليونانية القديمة نجد أوجه تشابه واختلاف؛ تشابهت الآراء التي تتضمن الاعتقاد بالموت والانتقال لعالم آخر، واختلفت مع ممن ينكرون فكرة الموت؛ ومن ثم الخلود. إن معالجة مشكلة الموت في الرؤية اليونانية لم تأتِ على دفعة واحدة، بل مرت بعدة مراحل، فبدأت بالأساطير والخيال؛ ومن ثم دخلت إلى الفكر اليوناني، وأصبحت لها عدة تأويلات ورموز. ففي الأساطير يتمثل الموت بالأشباح. بالغت الأساطير اليونانية في تضخيم فكرة الموت

[1] - Mwanja, Patrick. 2016.p. 8.

[2] - الماجدي. 2016. ص 53 / السواح. ص 38.

وأعطت للجحيم صور مرعبة، ففي الأساطير اليونانية عالم الجحيم هو المكان الذي تلجأ إليه أرواح أولئك الذين تركوا أجسادهم وانتهى وجودهم الأرضي. هناك تصوران لعالم الجحيم؛ الأول هو أن العالم الآخر يقع في آخر الأرض؛ أي ما بعد المحيط الشاسع ويجب اجتياز هذا المحيط من أجل الوصول إلى شاطئ منعزل عن مناطق الجحيم. وهناك لا يوجد أحياء ولا يمكن لأشعة الشمس النفاذ لهذا المكان البعيد. أما التصور الثاني لمملكة الجحيم يقع في مركز الأرض وهو مكان الأشباح والغموض، وهناك كهوف لا يمكن أن تؤدي إليه، هذا التصور لا يجعل من الموت سقوطاً نحو الأسفل، بل رحلة سفر طويلة بلا نهاية ولا عودة. الوافد للجحيم اليوناني ينبغي المرور بمرحلة وسطى ويجب اجتيازها والانتظار حتى يسمح له هاديس إله الموت؛ حيث يتوجه المحكوم عليه بعد ذلك نحو مصيره المحتوم^[1].

وتُعد النحلة الاورفية أوّل من اعتقدت بالتناسخ والخلود في الفلسفة اليونانية، تعود تسميتها إلى مؤسسها أورفيوس، والذي يعتقد بفكرة تطهير النفس لإيمانه بالحياة الأخرى وعلى أساس أن الجسد هو مقبرة للنفس، ويضع نظاماً للتطهير يفرض فيه الامتناع عن أكل أنواع معينة من المأكولات والابتعاد عن الملاذات الجسدية، وفي رأي الاورفية بأنّ النفس تمر بدورات من الحيات إلى أن تتطهر وتتصل بالآلهة، وهذه هي فكرة التناسخ التي تقوم على خلود النفس. والتطهير عندهم يقوم على الزهد وتأدية طقوس معينة تحت إشراف رجال دين اورفيين، وإذا حافظ الإنسان على هذه الطريقة فإنه يتحرر من الجسم ويتمتع بصحة الأختيار حيث السعادة الدائمة. أثرت الاورفية في الفيثاغورية من خلال فكرة التناسخ واللباس والطعام والمحارم، كما أثرت في سقراط وأفلاطون في ثنائية النفس والجسم، وأثرت في أرسطو في فكرته عن تحرر النفس من الجسم عند النوم^[2].

الفيثاغورية تؤمن بالخلود كما أنها تؤمن بتناسخ الأرواح، النفس عندهم هي المبدأ الذي تتحرك به هذه الذرات بحيث تكون النفس عندهم مبدأ أو علة توافق الأضداد في البدن وعلة حركته جميعاً. وبعد الموت تهبط النفس إلى الجحيم تتطهر بالعذاب، ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسمًا بشرياً أو حيوانياً أو نباتياً، ولا تزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها، وفيثاغورس أوّل من قال بالتقمص أو التناسخ في اليونان. والتناسخ فإنّ فيثاغوراس يعني به انتقال النفس من جسم إلى جسم آخر، وليس شرطاً أن يكون إنساناً، بل من الممكن أن تنتقل إلى جسد حيوان أو نبات؛ لأنّ

[1] - مبروك. ص 37، 38.

[2] - الوالي، عبد الجليل كاظم. 2009. ص 47.

فيثاغوراس كان يعتقد بفكرة الإخوة بين الإنسان والحيوان والنبات، ثم إنَّ لحظة الموت تعني أن النفس تنفصل عن البدن وتبقى في الفضاء الممتلئ بالأرواح في انتظار ولادة جديدة لكي تحل فيها ولا يهم إن كانت هذه الولادة الجديدة، إنسان أو حيوان، أو نبات؛ لذا فالنفس لا بدَّ من أن تتجاوز سلسلة طويلة من أشكال الوجود. الغاية من التناسخ الطهارة التامة والسعادة الدائمة^[1].

وعن سقراط فكان يؤمن بالخلود ويعتقد أن النفس متميزة عن البدن فلا تفسد بفساده، بل تخلص بالموت من سجنها وتعود إلى صفاء طبيعتها. وإنه كان لا يعتبر الموت شرًّا، بل يرى فيه الخير كل الخير، سواء افترضناه سبأً أبديًّا، أو بعثًا لحياة جديدة. وفي يوم إعدامه كان عنده تلاميذه وكان معظم حديثهم في خلود النفس وكان سعيدًا. وعند أفلاطون الموت هو انعقاد النفس عن الجسم. ويعتقد أن النفس كانت تعيش في عالم المثل بصحبة الآلهة، ثم ارتكبت إثماً من الآثام فهبطت إلى البدن وحبست فيه، إلا أنها تحاول جاهدة الخلاص من البدن والتحرر منه، كما يحاول السجين الفرار من سجنه. اجتهد أفلاطون في إثبات خلود الروح وبين عن طريق نظرية التذكر والمثل أن الروح سابقة على البدن وذلك بالمعارف التي حصلتها في عالم المثل، وقد وصف الروح بأنها بسيطة غير مركبة، وأنها جوهر يتحكم في البدن والمصدر المباشر للحياة. والموت لا يعدو كونه مجرد انفصال الروح عن البدن الفاني، وانطلاقها إلى عالم الخلود طلبًا للحقيقية وعشقًا لمثال الخير. وبالنظر للفكر اليوناني يبدو واضحًا أن اليونانيين قد رفضوا عقيدة الخلود في حياة أخرى بعد الموت التي تضمنتها ديانة ديونيسوس في أوَّل الأمر، وقد تبلورت هذه الفكرة في الطور الثاني من الديانة اليونانية؛ حيث تفسيرات الفلاسفة للروح والحديث عن الخلود وتناسخ الأرواح^[2].

تعقيب

إنَّ الموت من الظواهر التي شغلت عقل الإنسان منذ القدم، فهو يمثل رهبة لما هو غير معروف، فهو سرٌّ غامضٌ لا يستطيع أحد النفاذ إلى أعماقه وكشف غموضه وأسراره. ومع ذلك كانت هناك الكثير والكثير من المحاولات لمعرفة طبيعة الموت وما بعده. والموت ظاهرة طبيعية وإنسانية تمرُّ بها الطبيعة في دورة الحياة وكذلك الإنسان أيضًا، فهي حقيقية حتمية لكل الكائنات التي تتصف بالحياة. الموت هو اللحظة الفاصلة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة؛ لذلك فالموت مرتبط بحياتين؛ الحياة الطبيعية منذ لحظة الميلاد، والحياة الأخرى بعد الوفاة.

[1] - 55 - Zeller, Edward. 1886. p. 37, 38. / كرم، يوسف. 2014. ص 37، 38.

[2] - كرم. ص 74، 75 / شورون. ص 52 / نصار، ص 122:124.

وبناءً على ما تقدم يبدو واضحاً تأييد الدين التقليدي الإفريقي لوجهة النظر القائلة بأنّ الموت هو المصير الحتمي لجميع الكائنات الحية، لا أحد فوق الموت. تظهر معظم الأساطير في أماكن مختلفة في إفريقيا أن الموت لم يكن جزءاً من خطة الإله الأصلية للإنسان لولا قصوره وعصيانه. وبشكل قاطع يرى الدين التقليدي الإفريقي أن الله هو واهب الحياة والموت ليس إلغاءً وإنما امتداداً. الموت لا ينهي إلا الوجود المادي، لكنه لا يستطيع أن يمنع الحياة من الاستمرار في عالم آخر. يرجع الموت إلى عدة أسباب جسدية أو روحية. يتبع الأفارقة طقوس للموت ويعتبر الدفن الأكثر شيوعاً، بينما حرق الجثث لا يمثل إلا حالات شاذة في المجتمعات الإفريقيّة. هناك إجماع بين الأفارقة على حقيقة الموت والحياة في العالم الآخر، كما اعتقد الأفارقة في فكرة الخلود بداية من الخلود الشخصي ومع مرور الزمن وعندما ينقطع ذكر اسم المتوفى على الأرض ولا يوجد في الحياة أي شخص يعرفه أو يتذكره يدخل في مرحلة الخلود الجماعي. في جميع الثقافات الإفريقيّة هناك اعتقاد في عالم الأرواح، وتختلف فئات الكائنات الروحيّة في هذا العالم من نظام فكري إلى آخر.

إنّ انشغال الشعوب المختلفة بفكرة الموت ومصير الإنسان، فكرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة خلق الكون ووجود الآلهة، فلا يمكن النظر في الفكر المصري أو الإفريقي أو العراقي على مفهوم الموت وطقوسه والمعتقدات الخاصّة به دون النظر إلى فكرة الألوهية وخلق العالم؛ ومن ثمّ الاعتقاد بالفناء أو الخلود. وبالنظر إلى مفهوم الموت في الثقافات المختلفة والمتعددة يتضح عدم اتفاق بين تناول هذه الثقافات لمفهوم الموت وما يعقبه من خلود أو فناء؛ فهناك من يرى أن الموت هو النهاية وليس بعده حياة، وهناك من يرى أن الموت هو بداية الحياة الحقيقية حياة الخلود والأبدية، هناك من يرى أن الموت مرحلة انتقالية بين حياة وحياة أخرى، وهناك من يرى أن الموت هو بداية لتكملة الحياة الدنيا، هناك من يرى أن التفكير في الموت مضيعة للوقت وجهل، وهناك من يرى أن التفكير في الموت أمرٌ ضروريٌّ وحتميٌّ، وبين هذا وذاك تعددت الأفكار وتباينت، ولكن ظلّ الموت هو السر الغامض وهو الحقيقية المطلقة خلف الوجود.

وأخيراً وفقاً لما تقدم؛ يتضح أوجه التشابه بين المعتقدات الإفريقيّة وغيرها من المعتقدات القديمة كالاعتقاد المصري والفارسي واليوناني، وكذلك أوجه الاختلاف بينها وبين المعتقدات العراقية القديمة. وفي الواقع إنّ التشابه والاختلاف لا يعني بالضرورة التواصل بين تلك الثقافات وإن كنا لا نستطيع إنكار الصلة بين مصر والجنوب الإفريقي، بالإضافة إلى الصلة بين مصر وبلاد

اليونان. إنَّ العقل البشري قد شغله القضايا الوجودية في كل مكان وزمان وما يتوصل إليه إنسان في أقصى الجنوب من الكرة الأرضية قد يتوصل إليه إنسان آخر في أقصى الشمال دون أي اتصال بينهما، لكن الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نجذم به هو أن الله منح البشر جميعاً على قدم وطاق العقل البشري، والذي يستطيع أي إنسان من خلاله أن يهتدي إلى إجابات عما يدور بخلده، صحيح هناك تفاوت بين البشر في القدرات العقلية، لكن لا يُمكن لأحد إنكار صفة العقل والتعقل عن المخلوقات البشرية كما فعلت المركزية الأوروبية. وبناءً عليه نستطيع القول إنَّ الميتولوجيا الإفريقيَّة قدمت رؤية جديرة بالاحترام ولا تقل قيمة وأهمية عن غيرها من الرؤى الثقافية المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

1. إرمان، أدولف. (1997). ديانة مصر القديمة. ترجمة: أبو بكر، عبد المنعم & شكري، محمد أنور. مكتبة الأسرة.
2. إسمان، يان. (2016). الموت والعالم الآخر في مصر القديمة (ج1). ترجمة: قاسم، محمود محمد.
3. السواح، فراس. (2018). فصول من الفلسفة الصينية. مؤسسة هنداوي.
4. الشواربي، إبراهيم أمين. (1947). قصة الحضارة الفارسية. مكتبة الخانجي.
5. الماجدي، خزعل. (2016). علم الأديان: تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله (ط1). المغرب: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع.
6. الوالي، عبد الجليل كاظم. (2009). الفلسفة اليونانية (ط1). الوراق للنشر والتوزيع.
7. برستيد، جيمس هنري. (2014). فجر الضمير. ترجمة: حسن، سليم. مؤسسة هنداوي.
8. حسن، سليم. (2001). مصر القديمة (ج2). مكتبة الأسرة.
9. ديوب، شيخ أتنا. (1995). الأصول الزنجية للحضارة المصرية (ط1). ترجمة: طوسون، حلیم. القاهرة: دار العالم الثالث.
10. سعد الدين، جيهان السيد. (2017). الخير والوجود لدى زرادشت وأفلاطون. مجلة بحوث كلية الآداب — جامعة عين شمس. العدد28. ص 287: 337.
11. شورون، جاك. (1984). الموت في الفكر الغربي. ترجمة: كامل يوسف حسين. مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام. الكويت: عالم المعرفة.
12. فرانكفورت، هنري. (1982). ما قبل الفلسفة (ط 3). ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
13. كرم، يوسف. (2014). تاريخ الفلسفة اليونانية. مؤسسة هنداوي.

14. مبروك، أمل. (2011). فلسفة الموت: دراسة تحليلية. لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
15. مبيتي، جون أس. (2023). الأديان الإفريقية والفلسفة (ط1). ترجمة: إيناس طه. القاهرة: المركز القومي للترجمة
16. مهران، مهرداد. (2003). فلسفة الشرق (ط1). ترجمة: علاوى، محمود. المجلس الأعلى للثقافة.
17. نصار، عصمت. (2004). الفكر الديني عند اليونان. المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
18. هايدغر، مارتن. (2012). الكينونة والزمان. (ط1). ترجمة: فتحي المسكيني. دار الكتاب الجديد المتحدة.

References

1. Assman, Jan. (1989). Death and Initiation in the Funerary religion of Ancient Egypt. Religion and Philosophy in ancient Egypt, Yale Egyptological Studies 3. P. 135- 159.
2. Ade. P. Dopamu. (2006). Change and Continuity: The Yoruba Belief in Life after Death. Philadelphia, PA, USA, a program of the Metanexus Institute. www.metanexus.net
3. B. Oládotun. Falana, Osanyinbí, Kehinde. (2016). An Evaluation of the Akur Yorùbá Traditional Belief in Reincarnation. Open Journal of Philosophy. <http://www.scirp.org/journal/ojp> or <http://dx.doi.org/10.4236/ojpp.2016.61007>
4. Baloyi, Lesiba. (2014). The African conception death: A cultural implication n. Papers from the international Association for cross- cultural Psychology Conferences. <https://scholarworks.gvsu.edu/iaccp>
5. Charamba, Tyanai. (2014). Paradigm shifts in the perceptions of death in Shona literary creations. Unisa Latin American Report vol 30 no 1. Pp. 49- 76.
6. Chukwuedo, Mercy Uwaezuoke& Ede, Anenechukwu Chidinyerem. (2019). THE PARADOX OF THE CONCEPTS OF LIFE AND DEATH IN AFRICAN TRADITIONAL RELIGION. IGWEBUIKE: An African Journal of Arts and Humanities Vol. 5 No 1. pp. 92- 97.
7. Coetzee, P. H. and Rouxm, A. P. J. (2003). The African philosophy

reader. Routledge Published, New York, second edition.

8. Etieyibo, Edwin E. (2018). Method –Substance- and the future of African philosophy. Library of Congress.
9. KANU, Ikechukwu Anthony& OMOJOLA, Immaculata Olu& BAZZA, Mike Boni. (2021). THE HUMAN PERSON IN YORUBA CULTURE AND PHILOSOPHY. <https://acjoi.org/index.php/ekpoma/article/view/1675>
10. M. MAJEED, Hasskei. (2022). Evil, Death, and Some African Conceptions of God. *Filosofia Theoretica: Journal of African Philosophy, Culture and Religions* Vol. 11. No. 4. Pp. 53- 70.
11. Marava, J. Moyounotsva. (2015). African philosophy on the concept of time and its influence on the view of death and afterlife- A Zimbabwean perspective. *International Journal of philosophy and Theology*. Vol. 3. No. 2. Pp. 87- 97.
12. Mbiti. J.S. (1975). *Introduction to African Religion*. London: Heinemann education books.
13. Mwania, Patrick. (2016). Interface between African's Concept of Death and Afterlife and the Biblical Tradition and Christianity. A Keynote Presentation at an International Conference on Religion and Transformation held in the Faculty of Education and Social Sciences, Masinde Muriru University.
14. Ogbujah. C. N. (2008). The idea of human destiny in Africa: the Igbo experience. *Melintas*. pp. 411- 435.
15. Owiredu, Charles. (2020). Metaphors and Euphemisms of Death in Akan and Hebrew. *Open Journal of Modern Linguistics*, 10, pp. 404-421. <https://www.scirp.org/journal/ojml>
16. Owusu-Gyamfi, C. (2019). Onipa:: The Human Being and the Being of Human Among the Akan people of West Africa. *Towards an African Theological Anthropology*. *Trinity Postgraduate Review Journal*, 18(1), 74–

94. Retrieved from <https://ojs.tchpc.tcd.ie/index.php/tpr/article/view/1307>
17. Shoko, Tabona. (2008) FROM ASHES TO ASHES, DUST TO DUST: CREMATION AND THE SHONA CONCEPT OF DEATH AND BURIAL IN ZIMBABWE. https://www.academia.edu/63149140/From_ashes_to_ashes_dust_to_dust_cremation_and_the_Shona_concept_of_death_and_burial_in_Zimbabwe
18. Takov, Peter. (2022). the conception of “God” in African philosophy and African traditional religion. International Journal of Social and human research. Vol. 5. No.7. pp.2914- 2923.
19. Ukpokolo Isaac E. (2023). The Meaning of African Philosophy. Handbook of African Philosophy. Springer.
20. -Wilfred Lajul. (2017). African Metaphysics: Traditional and Modern Discussions. I.E. Ukpokolo (ed.), Themes, Issues and Problems in African Philosophy. published by Springer Nature.
21. Zeller, Edward. (1886). Outlines of the History of Greek Philosophy. London: Green and Co.